هاء التنبيه الداخلة على اسم الاشارة بين الاستعمالين اللغوي والقرآني

أ.م.د. حسام عدنان الياسري م.م. علي شاكر كاظم

كلية الآداب –جامعة القادسية كلية التمريض–جامعة القادسية

ملخص البحث

تنفرد أسماء الإشارة بدخول بعض الحروف على بنيتها، فتضفي عليها دلالات كثيرة بالاضافة الى معنى الإشارة نفسه، جاء البحث على أربعة مباحث تناول الأول (هاء) التنبيه التأثيل والتأصيل وجاء الثاني بعنوان صفتها الصوتية والصرفية اما المبحث الثالث فكان بعنوان خصائصها واقترانها بالالفاظ وأخيرا جاء المبحث الرابع بعنوان استعمالها القرآني مع اسم الإشارة وقد توصل الباحث الى عدة نتائج منها ان ثم مجموعة من الحروف المختصة بأسماء الإشارة ومنها هاء التنبيه التي تفيد دلالة التنبيه ولفت النظر للمخاطب عند الإشارة. وتعد هاء التنبيه سابقة من السوابق التي تلحق هذه الاسماء، فهي تتصدر بنيتها، نظرا لموقعها الدلالي.

المبحث الاول: (هاء) التنبيه التأثيل والتأصيل

تنفرد أسماء الإشارة بدخول بعض الحروف على بنيتها، فتضفي عليها دلالات عديدة فضلا على معنى الإشارة نفسه. و يمكن أن نقسم هذه الحروف بناءً على مكانها من اسم الإشارة من ناحية دخولها عليه، على النحو الآتي :

١ – الحروف التي تتصدر اسم الإشارة، و تسمى: سابقة حرفية؛ لكونها بنية اللفظ أو تتصدر عليه. و يمثل هذا القسم من الحروف (ها) التنبيه التي تتقدم أسماء الإشارة فيقال: هذا، و هذه.

٢ – ما لحق ألفاظ الإشارة متأخرا عنها، وهي كاف الخطاب الحرفية التي تلي اسم الإشارة، فكأنها آخر حرف فيه. نحو: ذاك، و تاك ...

٣ – حرف يدخل في وسط هذه الأسماء، وهو لام البعد الذي يتوسط بين كاف الخطاب والاسم نحو: ذلك، و تلك. ولكل من هذه الأحرف دلالته الخاصة التي تمنح اسم الإشارة معنى آخر غير ما يدل عليه بصورته المجردة من تلك الأحرف. فأما (ها) التنبيه فتضفي دلالة التنبيه على تلك الألفاظ ولاسيما في الاستعمال

القرآني؛ فقد شاع اتصالها بأسماء الإشارة في النظم القرآني إذ جاءت مع (ذا) و (ذه) ومثنيهما، وكذلك مع (أولاء) سوى في مواضع قليلة تجرد منها هذا الاسم.

وثمة قضايا لغوية في هذا الحرف فقد أشرنا إلى استعماله في اللغات الجزرية ومخرجه الصوتي وبنيته وخصائص استعماله مع الفاظ أخر غير أسماء الإشارة ودلالاته التي يستعمل فيها غير دلالة التنبيه. فضلا على التغيرات الصوتية والقراءات القرآنية الخاصة به في النظم القرآني.

أما كاف الخطاب، فإنها تدخل على أسماء الإشارة لإضفاء الخطاب عليها. وهناك مسألة تتعلق بدلالة هذا الحرف، فالمشهور أنه يمنح تلك الأسماء صفة البعد المتوسط وهذا يدعو إلى أن تكون الإشارة على ثلاث مراتب. وقد ناقشنا هذه المسألة ضمن التمهيد.

وتبدو ظاهرة المطابقة والخروج عنها من أوضح الظواهر الدلالية في استعمال هذا الحرف مع أسماء الإشارة في الذكر الحكيم، فقد وقف البحث عند هذه الاستعمالات مع بيان دلالتها، ولا سيما عند تغليب المذكر على المؤنث أو المفرد على الجمع في الإشارة والخطاب.

وقد تكلم النحويون واللغويون على حرفية الكاف واسميتها، فكثر القول في هذه المسألة التي عرض لها البحث بصورة موجزة. وبسبب من تصريف هذا الحرف مع اسم الإشارة بحسب عدد المخاطب وجنسه وضعت الألفاظ التي من قبيل (ذلكم، و ذلكما و ذلكن...) مع المباحث الخاصة بتلك الأسماء.

وربما دخلت كاف أخرى على بعض الفاظ الإشارة ، فيقال فيها (هكذا) و(كذلك) التي ورد استعمالها مع اسم الإشارة المفرد المذكر القريب والبعيد (هذا، و ذلك).

أما الام البعد، فإنها لا تأتي إلا مع حرف الخطاب فحسب، وهي تفيد التنصيص على البعد[١] وقد شاع استعمالها مع الحرف المتقدم في القرآن الكريم. وذكر جمهرة من اللغويين أن اقترانها بأسماء الإشارة لغة حجازية، فهم يقولون (ذلك) مقابل (ذاك) التي تستعملها القبائل التميمية[٢].

ولم يلتزم البحث في دراسة هذه الحروف – بشيوعها في الاستعمال القرآني، وإنما اعتمد على التدرج المنطقي في تركيب هذه الحروف مع ألفاظ الإشارة، فبدأ بـ(ها) التنبيه، بوصفها تتعداها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الحروف يطلق عليها المحدثون من الباحثين تسمية: العناصر الإشارية[٣]. وهي تسمية وجيهة؛ أنها جامعة لدلالات هذه الحروف، فلم نجد لدي القدامى مصطلحا أو اسما يجمع هذه الحروف، فهم يسمون الهاء حرف تنبيه [٤]، والكاف حرف خطاب [٥]، و اللام عندهم تسمى لام البعد[٦] و تلك – مثلما يظهر – تسميات متباينة تخص دلالة كل حرف بصورة مستقلة عن غيره، فضلا عن أن مصطلح العناصر الإشارية) يلحظ فيه دلالة هذه الحروف على الإشارة.

استعماله في اللغات الجزرية:

يبدو أن هذا الحرف موجود في أغلب اللغات الجزرية سوى اللغة الأكدية، التي قلبت فيها الهمزة عن الهاء[٧]. و لعل وجوده في هذه اللغات دليل على أصالته و قدمه في هذه المجموعة اللغوية.

وثمة ظاهرة جديرة بالإنتباه تعلق بالأصل الاشتقاقي لطائفة من الأسماء العربية، فيفهم من كلام كارل بروكلمان أن حروف التنبيه تعد أصلا لبعض الأسماء، فهو ينص على أن أسماء الإشارة وأسماء الاستفهام قد نشأت من أدوات التنبيه[٨]. ولا يخلو هذا القول من وجاهة، ولعل كثرة اقتران (ها) التنبيه بأسماء الإشارة يؤكد تلك العلاقة الاشتقاقية بين هذه الأسماء و حروف التنبيه، و إذا صح القول الأنف أمكن الجزم بأن (ها) التنبيه كانت أسبق في النشأة و الاستعمال من أسماء الإشارة، و ربما استعمل بالدولتين المتقدمين، ومن ثَمّ تكونت منه ألفاظ الإشارة في اللغات الجزرية بفعل التطور اللغوي الذي ألمح إليه بروكلمان[٩]. وأكثر الدارسين للغات القديمة يميلون إلى عدّ حروف التنبيه أصولا اشتقاقية لألفاظ عديدة، فقد رجح جرجي زيدان أن تكون (أل) التعريف وتلك التي تستعمل بدلالة الاسم الموصول مأخوذة من (ها) التنبيه مستدلا باستعمال الهاء أداة تعريف في العبرانية[١٠].

والظاهر أن أغلب اللغات الجزرية قد استعملت الهاء بدلالة التعريف ولم تستعمله حرف تنبيه كما هو في العربية، وهذا مذهب أكثر المستشرقين[١١]. ولا نظن أن العربية قد استعملت هذا الحرف أداة تعريف في مرحلة من مراحل التدرج اللغوي، مع ما ذكره الدكتور محمود فهمي حجازي من أن نقوشا قديمة اكتشفت شمال الجزيرة العربية وقد ثبت أنها نقوش عربية برزت فيها ظاهرة استعمال الهاء أداة تعريف[١٢] واستدل بما هو مستعمل في اللهجة العامية من قولهم (هَالولد و البنت)[١٣] ، والراجح عندنا أن تلك الأقوال العامية لا تثبت استعمال الهاء بدلالة التعريف، فمن الممكن أن تكون من قبيل الإبدال الصوتي، و ذلك بقلب الهمزة هاء لقرب مخرجيهما. ثم إن اللغة السريانية قد احتفظت بدلالة الهاء الإشارية فضلا عن استعمالها للتوكيد. فلم ترد فيها الهاء أداة تعريف[١٤]، ولعل اختصاص هذا الحرف بالتنبيه أو بمعنى الإشارة واضحاً في اللغة العربية موازنة السريانية وهو يضعف ما ذكره الدكتور محمود فهمي حجازي.

ومن الاستعمالات الأخرى للهاء في اللغات الجزرية، مجيئها بدلالة حرف الاستفهام في اللغة العبرية، فضلا عن التعريف والتنبيه [١٥]

نخلص من ذلك إلى أن كثرة الدلالات الوظيفية للهاء في اللغات الساميّة يظهر أهمية هذا الحرف فيها، و يمكن القول إن اللغة العربية قد خطته بمعنى التنبيه، بسبب من تضمنه معنى الإشارة، و ثمة شواهد عدة تظهر هذه الحال، بل وتشويه عند الباحث، ومنها قول الشنفرى [١٦] :

فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لأبرحُ طارقاً و إنْ يَكُ إنساً مَاكَهَا الإنسُ تَفْعَلُ

فقوله (كَهَا) يوحي بدلالة إشارية في الهاء، فضلا على التنبيه. ولعل معنى الإشارة يتضح بجلاء في قول الشاعر [١٧] :

ما تِلْكُ إلا جنّة الدّنيا و هَا وِلْدَانُها جُلِبَتْ عليكَ و حُوْرُهَا

فكأن المعنى: و هؤلاء ولدانها، فنابت الهاء عن اسم الإشارة لما فيها من معنى الإشارة.

ويبدو أن الاستعمال العربي لهذا العنصر الإشاري يمثل امتدادا للغات الساميّة التي استعملت هذا الحرف عنصر إشارة، وهذا يفسر لنا شدة الارتباط وكثرة الاقتران بين (ها) التنبيه وأسماء الإشارة. وأحسب أن اكتساب هذا الحرف لدلالة التنبيه كان بسبب من دلالته الصوتية، لأنه حرف ذو رنين انفعالي، لهذا استعمل أداة تنبيه أو تقديم[١٨].

المبحث الثاني: صفتها الصوتية والصرفية

تعد الهاء من الحروف الهوائية الحلقية[١٩] وهي من الأصوات المهموسة والرخوة[٢٠]، ويبدو أن صفة الهمس في هذا الحرف قد منحته سهولة في النطق فأدى إلى إبداله همزة في بعض الأحيان. ويرى الدرس الصوتي الحديث أن الهاء من الأصوات الرخوة المرققة، إذ يندفع الهواء محتكا بالأوتار الصوتية محدثا حفيفا يميز هذا الصوت عن غيره من الحروف")[٢١]. هذا هو الذي دفع بعض الباحثين المحدثين إلى عد اللغات الساميّة تتميز من غيرها بهذه الطائفة من الأصوات [٢٢].

بنيتها:

تتكون (ها) التنبيه من حرفين هما: الهاء، والألف، ويبدو أن للتغيّر الصوتي في نطق ألفها أثرا في تغير دلالتها، فقد نقل عن الخليل قوله أن (ها) بفخامة الألف حرف تنبيه، و بإمالته حرف هجاء[٢٣]. إمالة الالف من هذا الحرف ظاهرة شائعة لدى القبائل البدوية[٢٤]، إذ يعدل بالألف ويجنح به نحو الياء، فيكون مخرجه بين الألف والياء[٢٥]. ويظهر أن الجنوح نحو الإمالة يكون لضرب من التقارب الصوتي، وهو ما صرّح به ابن يعيش؛ إذ يقول إنهم: (قربوا الألف من الياء؛ لأن الألف تطلب من الضم أعلاه والكسرة تطلب أسفله و أدناه فتافرا، و لما تنافرا أتيحت الفتحة نحو الكسرة و الألف نحو الياء فصار الصوت بين بين فاعتدل الأمر بينهما و زال الاستقال بالتنافر[٢٦].و لعل تحقيق المطابقة الصوتية هو الذي يدعو إلى الإمالة لئلا يحصل تباعد صوتي بين الفتح و الكسر.

أما تفخيم الالف من الهاء، فهو يقابل الإمالة فيها. ويمكن القول إن تفخيم الف (ها) التنبيه لغة حجازية، لأن الحجازيين عرفوا بالفتح من بين القبائل العربية الأخرى[٢٧].

ومهما يكن من الأمر، فإن تلك التغيرات الصوتية لا تغير من بنية (ها) التنبيه شيئاً سوى أنها تضفي عليها مستويات لهجية مع بقاء دلالتها على التنبيه مثلما يفهم من كلام الخليل[٢٨].

حذف ألفها:

ثمة ظاهرة بينة في استعمال هذا الحرف مع أسماء الإشارة، إذ تحذف الألف من الهاء عند اقترانها مع تلك الألفاظ، فيتم التخلص من صوت المد الطويل وذلك بقصره إلى حركة أقل منه امتدادا لدى النطق بحرف التنبيه واسم الإشارة. ويمكن توضيح ذلك بالصورة الآتية:

هـ ـَـا (ها) ⟵ هـ ـَـ (هـ)

واختصار الفتحة الطويلة يؤدي إلى أن تصير الهاء بمنزلة كلمة واحدة مع اسم الاشارة[٢٩]. و يبدو أن التخلص من أصوات المد ظاهرية ساميّة، فقد ذكر المستشرق كيم رابين أن اللغة السريانية تميل إلى التخلص من هذه الأصوات بِقَصْرِها، فتضعف عندهم هذه الطائفة من الحروف[٣٠].

وقد فصّل ابن جني القول في هذه الظاهرة الصوتية و تحدث عن أسبابها، ذاكرا أن من أهمها تخفيف النطق بالكلمة[٣١]، فيكون قصر الألف من (ها) التنبيه واقعا تحت هذا الباب من الحذف فضلا عن كثرة الاستعمال الذي يؤدي إلى اختصار هذه الأصوات لأجل تحقيق السرعة في النطق[٣٢]. و قد اجتمع حذف الألف منها في كلام العرب، قال الأعشى [٣٣]

هؤلى ثم هؤلى كُلا أعـــــــ طيت نعالاً محذوة بمثال

المبحث الثالث: خصائصها واقترانها بالالفاظ

يجيء هذا الحرف في العربية بدلالة التنبيه التي تعد الدلالة الرئيسة لهذا الحرف علاوة على بعض المعاني التي خرج إليها هذا الحرف، ويمكن اجمال ذلك في دلالتين هما:

أ. **استعمالها بالمعنى الأنف– وهو التنبيه** –، الذي نص عليه غير واحد من واللغويين، ومنهم الخليل، الذي يقول: (وها تنبيه يفتتح بها. كقوله تعالى: {هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ}[٣٤]، وقال النابغة[٣٥]:

ها إن تا عذرة إلا تكن نفعت فإن صاحبها قد تاه في البلد...)[٣٦].

وعندنا أن دلالة التنبيه لا تفارق هذا الحرف، سواء اتصل بأسماء الإشارة أم انفرد عنها، بدليل إفادته التنبيه عند تصدره الضمير المنفصل – كما سيأتي –[٣٧].

(ب) استعماله بمعنى حرف الجواب. وقد نص على هذا المعنى بعض اللغويين، فقد ذكر أن العرب تقول (ها) لدي اجابتها لداع ما. فيمدون الصوت بها تطويلا له[٣٨]. وذلك – فيما تحسب للاهتمام والعناية بالإجابة.

خصائص (ها) التنبيه :

ثمّة سمتان تتعلقان بتركيب الماء مع ألفاظ الإشارة و هما:

أولا: كثرة اتصالها بأسماء الإشارة:

من الظواهر اللغوية البارزة في استعمال الهاء كثرة ورودها مع أسماء الإشارة، فلا يخلو أي اسم منها. وأغلب الظن أن هنالك علاقة وثيقة بين التنبيه والإشارة، فإن الهاء تعد من أسماء الإشارة البدائية في اللغات الجزرية[٣٩]. ولعل ذلك يفسر لنا تلك العلاقة الوثيقة بين هذا الحرف وأسماء الإشارة. فضلا عن أمر أخر يمكن أن يفسر تلكم العلاقة الآنفة، وهو أن ألفاظ الإشارة توصف بكونها مبهمة الدلالة، بسبب من أنها تقع على كل شيء و لا تختص بمسمى معين[٤٠]، قال الرضي: (و إنما سميت مبهمات، وإن كانت معارف لأن الاسم و الإشارة من غير إشارة حسية إلى المشار إليه مبهم عند المخاطب والآن بحضرة المتكلم أشياء يحتمل أن تكون مشارا إليها ...)[٤١]، فيكون تعين الإبهام فيها سببا دعا إلى تردد حرف التنبيه مع هذه الأسماء؛ لأن حرف التنبيه يمنحها صفة التعيين و تحديد الدلالة و لاسيما من جهة توكيد القرب فيها [٤٢]، مما يؤدي إلى تقوية الدلالة الحسية لهذه الألفاظ. وقد نص غير واحد من اللغويين على هذا المعنى ومنهم الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) الذي ذكر أن الإبهام في (ذا) ودلالته على كل واحد مما يشار إليه هو الذي يوجب الحاجة إلى التنبيه مع هذه الأسماء؛ لأجل تحريك النفس على طلب المشار إليه بعينه[٤٣]، ومما يؤكد ذلك أي اقتران التنبيه بهذه الأسماء يزيل عنها الإبهام [٤٤]. وهذا يظهر –بجلاء – سبب تردد (ها) التنبيه بهذه الكثرة مع ألفاظ الإشارة فالهاء في جميع (هذا) وغيره من أسماء الإشارة حرف للتنبيه[٤٥].

دخول الهاء على غير أسماء الإشارة:

لقد دعت كثرة اتصال (ها) التيه بالفاظ الإشارة بعض النحويين إلى القول باختصاص هذا الحرف بتلك الأسماء دون غيرها من أنواع الكلم؛ فقد ذهب الرضي إلى أن: فيها التنبيه مختص باسم الإشارة ... ولم يثبت دخوله في غيره من الجمل والمفردات ...)[٤٦] وفي هذا القول نظر؛ لأن كثرة أتصال حرف التيه باسم الإشارة لا يمنحه سمة الاختصاص، فضلا عن أنه لم يثبت اختصاص الماء بتلك الألفاظ. مما يقوي ذلك لدى الباحث أن (ها) التنبيه قد دخلت على أنواع أخرى من الكلم وهي:

١. تدخل مع (أيّ) في النداء، وهي في هذا الموضع لازمة، لأنها كالصلة لـ(أيّ) المقصودة بالنداء[٤٧]. ومثال ذلك قوله تعالى:**{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾}**[٤٨]

٢. وتتصدر ضمير الرفع المنفصل المخبر عنه باسم الإشارة، نحو قوله تعالى: **{هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ}** وقال ربيع بن ضبع الفزاري [٤٩]:

ها أنذا آمل الخلود و قد ادرك عمري و مولدي حجرا

وربما دخلت (ها) التنبيه على الضمير المنفصل من دون أن يخبر عنه بإسم الإشارة قال الشاعر [٥٠]:

أبا حكم ها أنت نجم مجالد

٣. وقد تأتي (ها) مفصولة بغير الضمير قليلا[٥١]، و عليه قول الشاعر [٥٢]:

ونحن اقسمنا المال نصفين بيننا فقلت لهم : هذا لها ها و ذا ليا

أي: هذا لها وهذا ليا، ففصل بين (ها) و (ذا) بحرف العطف [٥٣]

٤. وتأتي الهاء مع لفظ الجلالة في القسم؛ إذ يفصل بينها وبين أسماء الإشارة بالقسم[٥٤] قال زهير ابن أبي سلمى[٥٥].

تعلمنا ها لعمر الله ذا قسما فاقصد بذرعك وانظر أين تنسلك

والمعنى: تعلمن هذا قسما[٥٦].

٥. وربما دخلت (ها) التنبيه على الاسم العلم، فيقال (ها زيد قائم)، للتنبيه على النسبة الإسنادية للاسم[٥٧].

٦. وثمة موضع يفهم من كلام الجوهري أن الهاء فيه للتنبيه، وذلك في الكنايات (هو، وهي)، وتكون الواو والياء اسما المكني نفسه[٥٨]. ويبدو أن هذا المعنى هو الذي دفع بعض الباحثين إلى أن يجزم بدلالة الهاء على الإشارة والتنبيه في هذين الضميرين [٥٩].

نخلص من ذلك إلى القول بعدم اختصاص (ها) التنبيه بأسماء الإشارة، بدليل تلك المواضيع التي ثبت دخولها فيها، بيد أنها كثيرة الدخول على هذا الصنف من المعارف، وهو مذهب أكثر اللغويين [٦٠]. ومما تجدر الإشارة إليه أن الرضي نفسه قد خالف قوله باختصاص هذا الحرف بتلك الأسماء، فذكر إمكان دخوله على أنواع أخر من المفردات مع كثرة تردده مع الإشارة[٦١]. وهذا هو الوجه الصائب الذي نخلص إليه.

ثانياً: أحوال دخولها على أسماء الإشارة:

(أ) اقترانها على سبيل الجواز:

ذكر النحويون أن الهاء تدخل أسماء الإشارة جوازاً، وذلك مع أسماء الإشارة المستعملة للقريب، و المجرد من الكاف الحرفية، فيقال : (جاءني هذا، وجاءني ذا)[٦٢]. فليس ثمة إلزام للتنبيه مع هذه الألفاظ، إذ يمكن إسقاط الهاء؛ لأنها زائدة على بنية أسم الإشارة[٦٣].

وقد يقل دخول هذه الماء عند اتصال كان الخطاب بأسماء الإشارة، بسبب من أن الهاء تلحق الاسم المجرد من الكاف كثيرا والمقرون بها قليلا[٦٤]، بيد أن هذا لا يمنع أن يقال في ذاك = هذاك) [٦٥]، قال طرفة بن العبد[٦٦].

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممددِ

(ب) امتناع دخولها على أسماء الإشارة:

مثلما يجوز اتصال الهاء بألفاظ الإشارة، فإنه يمتنع دخولها على هذه الأسماء و ذلك عندما يكون اسم الإشارة مستعملا بدلالة البعد إذ تدخله لام البعد و كاف الخطاب مما يؤدي إلى امتناع الهاء من الاقتران به حينئذ، فلا يقال (هذالك)[٦٧] أن هذا الأمر يرجع إلى دلالة تلك الحروف التي تتصل بأسماء الإشارة؛ فالياء تفيد تنبيه المخاطب و توجيهه إلى ما هو مشاهد و محسوس بحيث يمكن إبصاره[٦٨] مما يوحي أنها تضفي معنى القرب على اسم الإشارة – فضلا على معنى التنبيه – لأن ألفاظ الإشارة تعرف باشارة المتكلم الحسية، أما بقية الحروف فإنها تفيد التنصيص على البعد، ولاسيما السلام، وبهذا تظهر المخالفة في قولهم (هذالك) – الأنف– بسبب من تناقض دلالة العناصر الإشارية لدى اجتماعها في اسم الإشارة. قال ابن بابشاذ: (فأما امتناعهم من مثل (هذالك)؛ فلما فيه من المخالفة لأن (ذا) إشارة للقريب و اللام للبعيد، و الكاف للخطاب، و الهاء للتنبيه قلبم تجتمع اللام مع (ها) ...) [٦٩].و لم يوجد في الاستعمال اللغوي المحتج به اجتماع لهذه الحروف الثلاثة في صيغة للإشارة المحضة[٧٠].

وثمة مسالة نبه اليها الرضي تتعلق بدلالتي القرب والبعد في هذه الأسماء ودخول التنبيه فيها، فقد ذكر أن امتناع حرف التنبيه من الدخول على اسم الإشارة المقرون بالكاف إنما يكون بسبب من وجود الحائل بين المخاطب والمشار إليه، إذ لابه العاقل إلى ما ليس في مرأى[٧١]. وهو قول حسن يؤكد ما ذكر آنفا من تناقض دلالات العناصر الإشارية المجتمعة في المثال المذكور.

المبحث الرابع: استعمالها القرآني مع اسم الاشارة

شاع استعمال هذا الحرف مع أسماء الإشارة التي للمذكر والمؤنث، واقتصر دخوله على ألفاظ القرب فقط وفاقا لدلالة الهاء فناسب التنبيه معنى القرب في هذه الألفاظ وقد ورد استعمال هذه الماء مع الضمير المرفوع المنفصل المخبر عنه باسم الإشارة وكان وروده في هذا التركيب أقل شيوعا من سابقه. ويمكن بيان الاستعمال القرآني للهاء وحصره وفق ما يأتي:

أولا: مجيئها مع أسماء الإشارة:

١– مع اسم الإشارة المفرد المذكر (ذا) ، فقد جات معه الهاء في مائتين وثلاثة وعشرين موضعا [٧٢] . قال تعالى : **{هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾}**[٧٣]، والإشارة بـ(هذا) إلى القرآن الكريم [٧٤] ، فنبه إلى قربه من الناس؛ لا حجة لهم[٧٥]. ويبدو أن هنالك غاية في اجتماع الهاء مع اسم الإشارة، إذ يلحظ على سياقات الإشارة في النظم القرآني دلالة تأكيد الإشارة أو تخصيص المشار إليه بالإشارة ففي قوله

تعالى: {...يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ }[٧٦]. نجد في (ها) توكيدا لاستهزاء اليهود و تحريفهم الأحكام الله تعالى، ولو جاء الاسم مجردا من حرف التنبيه لما منح الجملة ذلك المضمون الدقيق، و أحسب أن هذا هو الذي قصده الرضي الاستراباذي عندما الهاء توكيدا لمعنى الجملة فضلا عن معنى التنبيه و الافتتاح بها [٧٧]. ويمكن القول إن، المواضع التي وردت فيها الهاء مع (ذا) كانت لتوكيد التنبيه في الإشارة و المشار إليه. لذا لم يأت هذا الاسم عني (ذا) – مجردا منها في كل مواضع وروده من الذكر الحكيم . قال تعالى : {قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ ...}[٧٨]، وفي (ها) دلالة على مضي الحدث بالرغم من أن المراد به المستقبل الآتي[٧٩].و الظاهر أن سياق الموقف يحتاج إلى تشبيه المشار إليهم على أهمية ذلك اليوم لكي لا يكون هذا مما يغفل عنه فجيء بالهاء لتوكيد الإشارة إلى الحدث [٨٠] و قريب من هذا الوجه قول الشاعر [٨١]:

هذا سراقة للقرآن يدرسه و المرء عند الرشى إن يلقها ذيب

و يرى بعض اللغويين أن (ها) التنبيه حرف لا معنى له سوى افتتاح الكلام [٨٢]، لا وفاق مع هذا الرأي، بسبب من بروز دلالات عديدة لهذا الحرف، و لا سيما في الاستعمال القرآني، إذ ثبتت دلالته على التنبيه و تقوية مضمون الجملة مع الفاظ الإشارة، و يفهم أن تلك الالفاظ تصبح بمنزلة الأسماء الظاهرة الدلالة بوجود الماء معها في النظم الكريم) [٨٣]. قال تعالى: {...هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾}[٨٤]، ونرى أن الطبيعة الصوتية لهذا الحرف لها أثر في توضيح دلالة الإشارة و تعيين المشار إليه بعد أن كان مبهما، و يتضح هذا في السياق القرآني بخاصة[٨٥]، وليس ثمة شك في أثر هاتين السمتين على دلالته البيانية، لذلك نسق تركيبه مع اسم الإشارة المذكر أو المؤنث في الاستعمال القرآني. قال تعالى: {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ... }[٨٦].

٢ – وجاءت هذه الهاء مع اسم الإشارة المفرد المؤنث بشكل أقل شيوعا من ورودها مع المذكر، فقد اقترنت ب (ذِه) في خمسة و اربعين موضعاً [٨٧]، قال تعالى: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ۚ..}[٨٨]

وقال جل شأنه: { وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ...} [٨٩].وقد أفادت الهاء مع هذا الاسم التنبيه في المواضع كلبها التي استعملت فيها.

٣– أما مع اسم الإشارة المثنى المذكر، فقد جاءت الهاء معه في موضعين فحسب)[٩٠]، هما قوله تعالى: {قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ...}[٩١]، وقوله تعالى:{هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ...}[٩٢]، و يلحظ في الآية الأولى توكيد بوساطة حرف التبيه على التهكم بموسى و هارون (عليهما السلام) من فرعون و قومه،

أما السياق القرآني في الآية الثانية فالتنبيه فيه لازم، لأجل توضيح مضمون الاختصام بين المختصمين، فالفريق الأول – و هم المسلمون – يدافعون عن عقيدتهم و دينهم، بينا الفريق الاخر – و هم المشركون – يبغون الكفر والإلحاد، فنبه على حالهم .و اقتصر استعمال هذا الحرف مع اسم الإشارة المثنى المؤنث على موضع واحد فقط[٩٣]، وهو قوله تعالى:{ **قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ**}[٩٤].

٤– ولم تقترن هذه الهاء إلا بلفظ واحد من ألفاظ الإشارة الخاصة بالجمع المشترك وهو (أولاء)، و ذلك – فيما أحسب – مساوقة لدلالة هذا الإسم على القرب. و قد اتصلت به (ها) التنبيه في ستة و أربعين موضوعا[٩٥]، وهي في هذا الموضع و غيره للتنبيه. قال تعالى:{ **فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦ**}[٩٦] و ثمة مواضع قوي فيها معنى التنبيه، فوصفت الهاء بأنها للتوكيد – أي توكيد معنى التنبيه –[٩٧]، و لا سيما في المواضيع التي تكرر فيها حرف التنبيه مع اسم الإشارة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن القران الكريم لم يستعمل الهاء أداة إشارة محضة، مع أنها تؤدي هذا المعنى في اللغات الساميّة، فقد طغت وظيفتها على المعنى المتقدمة، فإن اقترانها ب (أوْلاءِ) في النظم القرآني يمثل تدرجا في استعمال (أولاء) إلى (هؤلاء)، وقد عد بعض الباحثين هذه الحالة مرحلة من مراحل نشوء صيغة (هؤلاء)[٩٨]. و عندنا أن تجرد اللفظ من التنبيه و اقترانه به في استعمال لغوي ليس فيه دلالة على مراحل نشوء الاسم المتقدم: لأن سياق المقام، هو الذي يوجب الحاجة إلى التنبيه دون وروده في موضع اخر، و لعل في الاستعمال القرآني لتركيب (ها أنتم) مع (أولاء أو هؤلاء) دلالة على ما نقول. قال تعالى:{ **هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ...**}[٩٩] ، وقال جل شأنه:{ **قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ**}[١٠٠]، فالفرق كبير بين الموقف في الآيتين؛ لذا جاء حرف التنبيه في الأولى لتأكيد الإنكار على المخاطبين فضلا عن المشار إليهم، بينا في جواب موسى تجرد الاسم من التنبيه اكتفاء بالإخبار عن مجيئهم على أثره؛ لأن الموقف – كما يبدو – ليس فيه حاجة إلى أن ينبه على تأخرهم عنه.

هـ– و قد وردت (ها) التنبيه مع ظروف الإشارة، فجاءت مع ظرف واحد منها و هو (هنا) و ذلك في أربعة مواضع[١٠١]، للتنصيص على معنى القرب، قال تعالى:{ **فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ**}[١٠٢]، وقال:{ **فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ**} وقال سبحانه:{ **أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ**}[١٠٣]. ومن هذه الاستعمالات القرآنية لهذا الحرف نخلص إلى القول إن دلالته لم تخرج عن معنى التنبيه أو توكيد هذا المعنى ولزومه ولا سيما عند تكرار الهاء. ويلحظ أن هذا الحرف لم يخل منه اسم من أسماء الإشارة المستعملة إلا في مواضع قليلة، و ذلك مع اسم الإشارة المستعمل للجمع المشترك القريب (أولآء)، و ليس ثمة شك في قوة العلاقة بين التنبيه و الإشارة، بدلالة التلازم الكبير بين هذين اللفظين في النظم القرآني، وهو ما يؤكد عناية لغة القرآن الكريم بحرف التنبيه الذي يضفي مضمونا بليغا على جملة الإشارة.

ثانيا:- استعمال (ها) التنبيه مع الضمير المنفصل المخبر عنه باسم الإشارة:

وهو النوع الثاني من التراكيب اللغوية التي استعملت فيها لها في القرآن الكريم، و قد كان ورودها بهذا النوع أقل شيوعا من مجيئها مع أسماء الإشارة الأخرى، إذ بلغت تلك المواضيع اربعة فقط[١٠٤].و قد تصدرت الهاء الضمير المنفصل (أنتم) قال تعالى:**{هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ}**[١٠٥]. ولهذا الاستعمال بضعة أحوال يمكن إجمالها في أمرين اثنين:

أ- تكرار دخول الماء مع اسم الإشارة (أوْلاء) علاوة على تصدرها للضمير المنفصل. و هذه الحال أكثر استعمالا من غيرها، فقد جاءت في ثلاثة مواضع من المواضع الأربع [١٠٦]، قال تعالى:{ **هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا...}** [١٠٧]

ب- اقتصار الهاء على الضمير المنفصل دون أن تدخل على اسم الإشارة، وقد جاء ذلك في موضع واحد وهو قوله تعالى: **{هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ}** [١٠٨].

إبدال الهاء من الهمزة

انفرد بعض اللغويين، وهو الراغب الأصبهاني (ت ٤٢٥ هـ) بأن عد الهاء التي تصدرت الضمير المنفصل هاء الاستفهام[١٠٩]. وقد توسع في هذه الدلالة فجعل الهاء في قوله تعالى:**{ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ}**[١١٠]حرف استفهام أيضا [١١١].و أغلب الظن أن الراغب قد اعتمد في قوله السابق على بعض القراءات القرآنية التي مالت إلى إبدال الهاء من الهمزة: للتقارب الصوتي بين هذين الحرفين في المخرج و الصفة[١١٢]، إذ يكثر التبادل الموقعي بين الماء و الهمزة، فيقال في (إيّاك) = (هِيّاك) [١١٣] ، ويظهر أن الغاية من هذا الإبدال هي التقريب بين صوتين متجاورين فضلا عن توفير الجهد العضلي عند النطق، وهو ما ذهب إليه أكثر الباحثين[١١٤]. وقد نقل جمهرة من النحويين والمفسرين عن أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) أن الأصل في قوله تعالى: **{هَا أَنْتُمْ...}** [١١٥] هو: (أ أنتم، فأبدل من الهمزة الأولى هاء؛ لأنها اختها ...) [١١٦].

وقد نقل الزمخشري (ت ٣٨هـ) عن بعض اللغويين أن القراءة المتقدمة على معنى الاستفهام الذي خرج إلى معنى التعجيب[١١٧]، وهو ما ذكره الشهاب الخفاجي (ت ١٠٩٩هـ) أيضا بيد أنه لم يختر هذا المعنى [١١٨]، في حين اختاره بعض الباحثين المحدثين مستدلا بكثرة قلب الهمزة هاء [١١٩].

وعندنا أن الإبدال بين هذين الحرفين ليس بغريب؛ فهو واقع لغوي يسوغه التقارب الصوتي بين الهمزة و الهاء، ولكن السياق القرآني لا يوحي بإرادة الاستفهام، فالتركيب هنا في سياق الإخبار عن مضمون جملة الإشارة، وهو مذهب أكثر المعربين [١٢٠]، بينا عد الهاء حرف استفهام أو مبدلة عن همزة الاستفهام بنقل المعنى إلى الإنشاء وهو معنى بعيد - كما يبدو - ومما يقوي ذلك عندنا أن الهاء في (ها أنتم) أو (هعنتم) مثلما قرأ قنبل (ت ٢٩١ هـ) [١٢١] يجوز أن تكون (ها) التنبيه الداخلة على الضمير المنفصل، وقد

حصل أن حذفت ألفها بسبب من كثرة الاستعمال، و هو وجه جوزه جمهور من النحويين المفسرين[١٢٢]. ولا سيما أن قصر الألف من (ها) التنبيه لا يقام في الورود عن إبدال الهاء من الهمزة؛ فقد ذكر اللغويون أنها تحذف و تضم الهاء منها في الوصل عند بني أسد[١٢٣] ، لأجل تحقيق الانسجام و التماثل الصوتي بقصر صوت المد الطويل [١٢٤] و هذه الحالة تكون في صيغة (أيها) إذ يقولون (يا أيها الرجل)، و عليها قراءة أبن عامر (ت١١٨هـ): { **سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ** }[١٢٥]. بيد أن هذا لا يمنع أن تقصر الألف من (هـــَ)، أما لأنها نت خفيفة دون الألف بفتحة قصيرة (هـَ)، و تلك لغة شائعة عند الحجازيين نقلها الخليل عنهم [١٢٦]. أو أنها تغيرت بسبب من كثرة الاستعمال مثلما حذفت مع (هؤلاء) و أمثاله[١٢٧] ، و هذا متعلق بالأداء اللهجي – كما يبدو –. فقد ذهب الدكتور عبد الصبور شاهين إلى أن التغير في تلك القراءة الشاذة – يعني قراءة (هعنتم) التي أبدل فيها الهاء من الهمزة – قد سجلت تغيرا في المقطع المهموز حيث شمل هذا التغير الحركة الواقعة قبل الهمزة، مما أدى إلى اختصار الحركة الطويلة في هل أنتم)، لأن الناطق لم يهتم بطول الحركة لشدة ضغطه على المقطع المهموز تحقيقاً لمبدأ السرعة في النطق[١٢٨].

و وفاقاً لهذا القول يكون الناطق قد اختصر الالف (صوت المد) فصيرها فتحة قصيرة.و قد ذكر أنها صورة لهجية مقصورة على السماع فحسب[١٢٩]. و ثمة طائفة أخرى من القراءات في التركيب المتقدم؛ فقُرِئ (ما أنتم) بالمد و الهمز، في حين قرأ بعض القراء بالمد دون الهمز[١٣٠]. فمن حقق الهمز جعل (ها) حرفا، و الهمزة حرفا اخر، وهو اللأصل ، ومن مد و لم يهمز فذلك للتخفيف من غير إخلال [١٣١]. و أحسب أن هذا يعزز ما اختاره الباحث من أن حذف الألف كان التخفيف و ليس من المعنى على الاستفهام.

و قد نص غير واحد من اللغويين على أن الهاء في (ها أنتم أولآء أو "هؤلاء") تفيد معنى التنبيه، و من أولئك سيبويه، الذي ذهب إلى أنها تفيد التنبيه ولكنها ليست الهاء نفسها التي في اسم الاشارة[١٣٢]، وتابعه الرضي الاستراباذي في ذلك الذي عدّ الهاء في (هـَا أنتم) غير منوية الاتصال بـ(أولآء) بالرغم من أنهما للتنبيه في كلا الموضعين [١٣٣] .ويبدو أن سيبويه والرضي لا ينكران معنى التنبيه في هذا الحرف، سواء أكان متصدراً الضمير أم مكرراً مع اسم الاشارة ، وإنما يريدان ذلك الفرق في الدلالة بين (هَا أنتم أولآء) و (ها أنتم هؤلآء) فكأنما المعنى في الهاء الأولى ليس نفسه في (هؤلآء) وهو وجه صحيح؛ لأن الهاء تصدرت الضمير تفيد معنى التنبيه ، فإنها تقدمت– كما يبدو– لتحقيق افتتاح الكلام بها ، وهو ما أجمع عليه جمهرة من اللغويين [١٣٤] ، أو تكون العناية بالتنبيه هي التي دعت الى تقدمها على الضمير (أنتم) وهو معنى ليس ببعيد . فقد اقتضى السياق تقدم التنبيه؛ لأن الموقف يتطلب التكثير في الوعظ والتوبيخ فدخل حرف التنبيه قبل الضمير وقبل اسم الاشارة [١٣٥] . قال الاخفش الأوسط في بيان قوله تعالى :{ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ} [١٣٦] انه تعالى قد جعل : (التنبيه في موضعين للتوكيد، وكان التنبيه الذي في (هؤلآء) تنبيهاً لازماً) [١٣٧] ، وفي هذا بيان لمذهب سيبويه والرضي ، فأن التراكيب التي تكررت فيها الهاء مع اسم الإشارة أشد مبالغة في الإشارة والتنبيه من تلك الآية التي اقتصر دخول حرف التنبيه

فيها على الضمير ؛ بدليل أن الايات السابقة قد سيقت لمعاني التوبيخ والتقريع فهي ذات دلالة مطلقة تخص المخاطبين والمشار إليهم من أهل الكتاب [١٣٨] ، والمنافقين [١٣٩] ، والذين لا ينفقون أموالهم في سبيل الله تعالى [١٤٠] قال تعالى{ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }** [١٤١] وقال تعالى شأنه **{ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا }** [١٤٢]

وقال تعالى:**{ هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ۖ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ }** [١٤٣]

ويلحظ في هذه النصوص الكريمة شدة وإنكار للمخاطبين بها فضلا عن النهي عن مضمون الأفعال المتقدمة، وأحسب أن هذه المعاني هي التي نبهت الفيروز آبادي إلى دلالة لطيفة لـ(ها) التنبيه في التراكيب القرآنية السالفة، فقد أطلق عليها دلالة مستوحاة م ن معاني التوبيخ فأسماها (هاء الزجر) [١٤٤]. وهي دلالة لا يضرب عنها الصفح؛ بسبب من احتمال هذا المعنى، فليس ببعيد زجر أولئك المخاطبين عن أفعالهم القبيحة بتركيب (ها أنتم هولآء).

ولعل في هذه الدلالة ردا على من عد الهاء مبدلة من همزة الاستفهام. فضلا على أن معنى الزجر في الهاء لا يمنع التوكيد الذي يلمس في تكرار الهاء، وذلك ما نص عليه غير واحد من النحويين القدامى والبلاغيين المحدثين[١٤٥]. وليس ثمة غرابة في أن يؤكد اسم الإشارة بحرف التنبيه، فالتوكيد بهذا الحرف معروف في اللغات السامية، و في اللغة السريانية تحديدا، إذ تستعمل (ها) التنبيه فيها لزيادة التوكيد فضلا عن دلالة الإشارة، فإنهم يؤكدون بإضافة (ها –ha) إليه تقوية لمعناه[١٤٦]. فيكون في (هؤلآء) مبالغة ليست في (أولآء) نظيرها، بدليل أن قوله تعالى: **{ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}** [١٤٧] جاء مجردا من حرف التنبيه في (أولاء) و يبدو أن تقدم الهاء على الضمير أغنى عن تكرارها مع اسم الإشارة.

نخلص من ذلك إلى أن الهاء في التركيب القرآني **{هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ}** أفادت التنبيه وزيادة في هذا المعنى، فضلا عن دلالة الزجر فيها. ولكنها لا تدل على الاستفهام البتة بخلاف ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني، أما ما قيل من أن المراد من الاستفهام خروجه إلى دلالة التعجيب، والظاهر أن التعجب إنما يكون من موقف هؤلاء المشار إليهم بالرغم مما خاطبهم الله تعالى به. ونستطيع القول إنه كلما تكررت الهاء مع اسم الإشارة أصبح المدلول أثبت وأكد؛ لأن هذا الحرف يؤتى به بحسب الموقف فقد يكرر – و هذا هو الشائع في النظم القرآني – مع اسم الإشارة أو لا يكرر [١٤٨].

الخاتمة

في ختام هذا البحث المتواضع، توصلنا الى جملة من النتائج، فيما يتعلق بموضوعه، وهي:

١. ثم مجموعة من الحروف المختصة بأسماء الإشارة ومنها هاء التنبيه التي تفيد دلالة التنبيه ولفت النظر للمخاطب عند الإشارة.
٢. تعد هاء التنبيه سابقة من السوابق التي تلحق هذه الاسماء، فهي تتصدر بنيتها، نظرا لموقعها الدلالي.
٣. تعد هذه الهاء من الحروف السامية الأصل، مع فارق في اختلاف نطقها بحسب طبيعة كل لغة،فهي تستعمل في اللغات السامية بالوظيفة اللغوية. والدلالية التي ترد فيها في العربية.
٤. من أهم صفات الهاء الصوتية انها صوت حلقي مهموس رخو تتكون من مقطع صوتي طويل مفتوح .
٥. ربما تقصر ألفها فتصير حرفا واحد، ويتضح ذلك في استعمالها مع اسم الإشارة، وهي ظاهرة سامية كما ينص على ذلك.
٦. من أهم خصالها اللغوية انها يفتتح بها الكلام فتكون مصدر غالبا.
٧. هي مختصة بأسماء الإشارة الدالة على القريب، وقد تتصل بغيرها، أو تنفصل عم اسم الإشارة بكلام.
٨. وقد يجوز دخولها على الإشارة او لا، وربما يمتنع، وذلك اذا لحقت اسم الإشارة اللام للبعد، والكاف الدالة على الخطاب.
٩. شاع استعمالها مع أسماء الإشارة في القرآن الكريم، وكذا استعملت فيه مع ظروف الإشارة نحو (هاهنا)، حسبما أورده البحث من مصاديق وامثلة.

هوامش البحث:

[١] ينظر: شرح الكافية: ٢/ ٣٢.
[٢] ينظر: معاني القرآن (للفراء): ٢٠/١ ، واللهجات العربية في التراث، للدكتور أحمد علم الدين الجندي: ٢/ ٧٧ ، ولهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب: ١٤٧.
[٣] ينظر : علم اللغة العربية ، للدكتور محمود فهمي حجازي: ٢٠٣.
[٤] ينظر: شرح ابن عقيل: ١/ ١٣٤.
[٥] ينظر: شرح المفصل: ٣/١٣٥ ، وهمع الهوامع: ١/ ٧٦.
[٦] ينظر: شرح المفصل: ٣/ ١٣٠، وشرح الكافية: ٢/ ٣٢.
[٧] ينظر: المدخل إلى علم اللغة العربية و مناهج البحث اللغوي، الدكتور رمضان عبد التواب: ٢٢٥.
[٨] ينظر: فقه اللغات السامية، لبروكلمان: ٩٢.
[٩] ينظر : المرجع نفسه: ٩٢.
[١٠] ينظر: الفلسفة اللغوية، لجرجي زيدان: ١٢٠.
[١١] ينظر : فقه اللغات السامية: ٨٩.
[١٢] ينظر : علم اللغة العربية: ٢٢٣.

[١٣] ينظر: علم اللغة العربية: ٢٢٣.
[١٤] ينظر: فقه اللغات السامية: ٩٠.
[١٥] ينظر: الكنز في قواعد العبرية، لمحمد بدر: ٤٤.
[١٦] شعر الشنفرى الازدي: ٨٦، و ينظر: مختارات ابن الشجري، لابن الشجري: ٤ ٢: برواية (... يفعل بدلا من " تفعل')، و ذيل الأمالي و النوادر، لابي علي القالي : ٢٠٩.
[١٧] لم اعثر على قائله وهو في: مجاني لويس شيخو: ٦ / ١٠٧.
[١٨] ينظر: العربية الفصحى (نحو بناء لغوي جديد)، هنري فليش اليسوعي : ١٦٩.
[١٩] ينظر: العين: (مقدمة العين): ١/ ٥٢.
[٢٠] ينظر: الكتاب: ٢/ ٤٠٥، و : /٤٣٤.
[٢١] ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ١/٥، ٥٤، ومناهج البحث في اللغة، للدكتور تمام حسان: ١٠٣.
[٢٢] ينظر: الأصوات اللغوية، للدكتور إبراهيم أنيس: ١٧، ٨/.
[٢٣] ينظر: البارع، لابي على القاني: (ها): ١٧٢، ر لسان العرب: (ها) : ١٠ / ٧٥.
[٢٤] ينظر: الكتاب: ٤/ ١٢٥، و الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: ١/ ٣١٣، وشرح الأشموني: ٣/٧٩٣.
[٢٥] ينظر : شرح المفصل: ٩/ ٥٤.
[٢٦] المصدر نفسه : ٩ / ٥٥.
[٢٧] ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، للرضي الاستراباذي : ٣/٤ ، والتفسير الكبير المسمى ب (البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : ١/ ٥٩.
[٢٨] ينظر: العين: (ها): ٤/١٠٣
[٢٩] ينظر: المخصص، لابن سيده: ١/١٠٠
[٣٠] ينظر: اللهجات العربية الغربية، لكيم رابين: ١٢٠.
[٣١] ينظر: الخصائص:٣١٩/ ، ٣١٧.
[٣٢] ينظر: المصدر نثنسه: ١٠ / ١٠٠.
[٣٣] ديوانه: ١١، وينظر: شرح المفصل : ٣/ ١٣٧، و صيغ الجموع في اللغة: ٥٧، و فيهما: (هؤلاء ثم ها، لاك اعطيت نعالا محذوة بنعال).
[٣٤] آل عمران / ١١٩.
[٣٥] ديوانه: ٢٨، برواية (هما إن ذي عذرة ... فإن صاحبها مشارت أتنكد).و قد ورد هذا البيت في الصحاح: (ها): ٦ / ٢٠٠٧، برواية: (ها إن تا عذرة ... فإن صاحبها قد تاه في البند)، و هي عين ما نقله الخليلي، و يبدو أن الجوهري نقلها عنه أيضا. وورد البيت برواية الديوان نفسها في الجنى الداني في حروف المعان يلابن ام قاسم المرادي: ٣٤٤. "
[٣٦] العين: (ها): ٤/ ١٠٣.
[٣٧] ينظر: صفحة (٣٨-٣٦) من هذا الفصل.
[٣٨] ينظر: لسان العرب: (ها): ١٠ / ٤٧٠.
[٣٩] ينظر: فقه اللغات السامية: ٨٩.
[٤٠] ينظر: شرح المفصل: ٥/ ٨٦.
[٤١] شرح الكافية: ٢/ ١٣٠.
[٤٢] ينظر: شرح الكافية: ٢/ ٣٢.
[٤٣] ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي: ٢/ ٤٥٦.
[٤٤] ينظر: الفوائد الضيائية: ٢/ ٣٩٦.
[٤٥] ينظر: اللمع في العربية، لابن جني : ١٠٤.
[٤٦] شرح الكافية: ٢/ ٣٨١.
[٤٧] ينظر: القاموس المحيط: للفيروز آبادي: (ها): ٤/٤١٦ ، ٤١٧ ، بصائر ذوي التمييز من لطائف الكتاب العزيز، للمصنف نفسه: (ها) : ٥ / ٢٩/٨، و الجنى الداني: ٢٤٣.
[٤٨] آل عمران / ١٤٩.
[٤٩] النوادر في اللغة (بي زيد الانصاري): ١٥٩، ر ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس،، للانباري: ٢٧٨/ ٢، ٢٧٩.
[٥٠] نسبه الفراء إلى بعض بني أسد.ينظر : معاني القرآن (فرات): ٢٩٠٣. و الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي:٢٠/ ٢١٩.
[٥١] ينظر: شرح الكافية: ٢/ ٣٨٠.

[٥٢] لم أعثر على قائله ، وهو في: شرح الكافية: ٢/ ٣٤.

[٥٣] ينظر : شرح الكافية: ٤ / ٣٤.

[٥٤] ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٣٨٠.

[٥٥] شرح ديوانه: ١٨٢، و ينظر: البارع: (ها): ١٧٢، ١٧٣ وفيه: (ر أقدر بذر علف ...)، و خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب، للبغدادي: ١١/١٩٠ و فيه (فاقدر بذر علف ...).

[٥٦] ينظر: المخصص: ١٣/ ١١٣.

[٥٧] ينظر: الفوائد الضيائية: ٢/٩٩ .

[٥٨] ينظر: الصحاح: (ها): ٦/٢٥٥٧ ، ، ٢٥٥٨.

[٥٩] ينظر: صيغ الجموع في اللغة العربية، للدكتورة باكزة رفيق حلمي: ٢:.

[٦٠] ينظر: لسان العرب: (ها): ١٥ / ٢٨٠.

[٦١] ينظر: شرح الكافية: ٢/ ٣٨٠.

[٦٢] ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام الأنصاري: ١١١.

[٦٣] ينظر: التوطئة ، لأبي علي الشلوبين: ١٨٤.

[٦٤] ينظر: ارتشاف الضرب: ١/٥٠٩، وشرح ابن عقيل : ١/ ١٣٣، ١٣.

[٦٥] ينظر: شرح التسهيل: ١/ ١٨١.

[٦٦] ديوانه: ٢٧ وينظر: صفحة (١٨) من هذا البحث .

[٦٧] ينظر: شرح المفصل: ١/١٣٥ .

[٦٨] ينظر : شرح الكافية: ٢/ ٣٢.

[٦٩] شرح المقدمة المحسبة: ٢/ ٥٨:.

[٧٠] ينظر: ملاحظات في لغة القرآن من خلال أسمي الاشارة والموصول، محمد اليعلاوي، بحث منشور في مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد (٧) سنة (١٩٧٠ م): ٥٤.

[٧١] ينظر: شرح الكافية: ٢/ ٣٢.

[٧٢] ينظر: الملحق : ١/٢٦٢-٢٦٨.

[٧٣] آل عمران / ١٣٨.

[٧٤] ينظر: مجمع البيان: ٢/٥٠٧ .

[٧٥] ينظر: المصدر نفسه: ٢/٥٠٧

[٧٦] المائدة /٤١.

[٧٧] ينظر: شرح الكافية: ٢/ ٣٨٠.

[٧٨] المائدة / ١١٩.

[٧٩] ينظر: مجمع البيان: ٣/ ٢٧٠.

[٨٠] ينظر: مجمع البيان ٤/٣٣١ .

[٨١] لم اعثر على قائله ، وهو في: مجمع البيان:

[٨٢] ينظر: لسان العرب: (ما): ١٥ / ٥٣.

[٨٣] ينظر: شرح المفصل: ٨/ ١١٩.

[٨٤] الأعراف / ٢٠٣.

[٨٥] ينظر: العين: (ها): ٤/١٠٣

[٨٦] الأنعام / ١٠٣.

[٨٧] ينظر: الملحق: ١٩٩١، ٢٧٠

[٨٨] النساء / ٧٨.

[٨٩] هود / ٦٤.

[٩٠] ينظر: الملحق: ١/ ٧٠ .

[٩١] طه / ٦٣.
[٩٢] الحج / ١٩.
[٩٣] ينظر: الملحق : ١/٢٧٠
[٩٤] القصص : ٢٧
[٩٥] ينظر: الملحق: ١/ ٢٢١، ٢٧٢ .
[٩٦] العنكبوت / ٤٧.
[٩٧] ينظر: ارتشاف الضرب: ٥٠٨/١.
[٩٨] ينظر: ملاحظات في لغة القرآن من خلال أسمي الاشارة و الموصول: ٢.
[٩٩] آل عمران / ٦٦.
[١٠٠] طه / ٨٤.
[١٠١] ينظر: الملحق: ١/ ٧٢
[١٠٢] المائدة / ٢٤.
[١٠٣] الحاقة / ٣٤.
[١٠٤] ينظر: الملحق: ١/ ٢٧٢.
[١٠٥] آل عمران / ١١٩.
[١٠٦] ينظر: الملحق: ٢٧٢/١ عدا سورة آل عمران / ١١٩.
[١٠٧] النساء / ١٠٩.
[١٠٨] آل عمران / ١١٩.
[١٠٩] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصبهاني: (ها): ٨٥٠.
[١١٠] النساء / ١٤٣.
[١١١] ينظر: مفردات الفاظ القرآن: (ها): ٨٥٠.
[١١٢] ينظر: من أسرار اللغة، للدكتور ابراهيم فيس: ٥٨.
[١١٣] ينظر: المقتضب: ١/ ١٥٤، و التصريف الملوكي لابن جني : ٥٤.
[١١٤] ينظر: اللهجات العربية في التراث:٣٤٩/١
[١١٥] آل عمران / ٦٦، و النساء / ١٠٩، و محمد/ ٣٨.
[١١٦] اعراب القرآن (النحاس): ١/ ٣٥٠، و مشكل إعراب القرآن: ١/ ١٧١، ١٧٢، والبحر المحيط: ٢/ ٤٨٠،
[١١٧] ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون النار في وجوه التأويل، للزمخشري: ١/ ٤٣٥، ٤٣٦.
[١١٨] ينظر: حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي و كفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، للشهاب الخفاجي: ٣/ ٣٠.
[١١٩] ينظر: أساليب الاستفهام في القرآن، عبد العلي السيد فردد: ١١.
[١٢٠] ينظر: البحر المحيط: ١/ ٢٢٠.
[١٢١] ينظر: الجامع لاحكام القرآن، للقرطبي: ٤/ ١٨٠/١، ١٨١.
[١٢٢] ينظر : الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ١٨١، ر البحر المحيط: ٢/ ٤٨٥.
[١٢٣] ينظر: القاموس المحيط: (ها): ٤/ ١٧، و البحر المحيط: ١/٩٣ ، و تاج العروس: (ها): ١٠ / ٤٥٤.
[١٢٤] ينظر: لهجة قبيلة أسد: ١٣٧.
[١٢٥] الرحمن / ٣١. وفي هذه القراءات ينظر: البيان في تفسير القرآن (الطوسي) :١ / ٩١، و مغني اللبيب عن كتب الأعاريب الابن هشام: ٢/٣٤٤ ، و الجامع لأحكام القرآن: ٦/٩٧ .
[١٢٦] ينظر: العين: (ها):١٠٢/٤
[١٢٧] ينظر: المخصص: ١٤/١٠٠
[١٢٨] ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، الدكتور عبد الصبور شاهين: ٩٧ و ما بعدها.
[١٢٩] ينظر: المرجع نفسه: ٢٠١.
[١٣٠] ينظر مجمع البيان: ٢/ ٤٥٦، و التفسير الكبير، للفخر الرازي:٨/ ٨٨، ٨٩، والجامع لأحكام القرآن: ٤/ ١٨٠، ١٨١.

[١٣١] ينظر : مجمع البيان : ٤٥٦/٢ ، والتفسير الكبير : ٨٨/٨ ، ٨٩.
[١٣٢] ينظر الكتاب : ٢ / ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، وبصائر ذوي التمييز : (ها) : ٢٩٨/٥ ، ٢٩٩ ، والجنى الداني :٣٤٣.
[١٣٣] ينظر شرح الكافية : ٢ /٣٨١.
[١٣٤] ينظر : الكتاب : ٣٥٤/٢ ، ٣٥٥ ، وتهذيب اللغة (ها) : ١٥ / ٣٥ ، ولسان العرب : (ها) : ١٥ / ٤٧٥ .
[١٣٥] ينظر : التعبير القرآني ، للدكتور فاضل السامرائي : ٩٣ ، ٩٤.
[١٣٦] محمد /٣٨.
[١٣٧] معاني القرآن (للاخفش) : ٦٩٥/٢ ، وينزر : ٣١٧/١ ، ٤٥٤.
[١٣٨] آل عمران /٦٦ ، وفي سبب نزولها ينظر : مجمع البيان : ٤٥٥/٢ ، ٤٥٦.
[١٣٩] النساء /١٠٩ وفي سبب نزولها ينظر : أسباب النزول ، للواحدي : ١٠٢ ، ومجمع البيان : ١٠٦/٣ .
[١٤٠] محمد /٣٨ ، وينظر : التفسير الكبير : ٣٨/ ٧٣ .
[١٤١] آل عمران /٦٥ ، ٦٦.
[١٤٢] النساء / ١٠٨ ، ١٠٩.
[١٤٣] محمد /٣٨.
[١٤٤] ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٥/ ٢٩٨.
[١٤٥] ينظر: التسهيل : ٤٠، و ارتشاف الضرب: ١/٥٠٨ ، و النظم الفني في القرآن الكريم، لعبد المتعال الصعيدي:٧.
[١٤٦] ينظر: فقه اللغات السامية: ٩٠.
[١٤٧] آل عمران / ١١٩.
[١٤٨] ينظر : التعبير القرآني : ٩٤ ، ومعاني النحو : ١٠١/١ .